معارك حزيران ترسيخ عدوانية الصهيونية وشرعيتها ، في نظر الاسرائيليين ، وفي الوقت ذاته ايصالها الى الباب المسدود ، وعجزها عن حل معضلات سياسية وامنية طرحها واقع الاحتلال ، وكان الفكر الاسرائيلي يتحايل على حلها مستمدا من خداع الصمت العربي برهانا على سلامة التطبيق والاطمئنان الى « الحق » الذي يكرسه سلاح القوة. ولعل الفترة التي سبقت حرب السادس من اكتوبر تميزت ، في الواقع الاسرائيلي ، بمطارحات فكرية هامة مست جوهر الايديولوجية الصهيونية والنموذج الاسرائيلي الذي يجسدها . كانت الصهيونية تقول ان هدفها الاساسي هو اقامة دولة يهودية في فلسطين. ولقد طبقت هذا الهدف . ولكن امتلاء المعدة الاسرائيلية ، وبالذات بعد ٦٧ ، بأراض ظنت انها قادرة على هضمها ، وبعدد كبير من السكان العرب الذين عجزت عن هضمهم بسبب خوفها من فقدان الطابع اليهودي للدولة طرح على القيادة السياسية الاسرائيلية معادلة شاقة : كيف يمكن المحافظة على التفرد اليهودي مع وجود حوالي مليون عربي ؟ لقد حاولت اسرائيل حل المعادلة بطرد سكان الارض الاصليين من أرضهم ، غير أنها عجزت عن تحقيق ذلك ، فوجدت نفسها مضطرة الى خلع الحياء المصطنع عن حقيقتها ، والكشف عن جوهرها الاستيطاني الكولونيالي . وهل تستطيع الصهيونية تقديم حل آخر ؟ لقد صار التنازل عن الارض المحتلة وعما تعنيه بالنسبة للاسرائيليين من فرصة للاستيطان ، وخلق قاعدة أمتن للتحكم الاقتصادي والسياسي بالمنطقة ، وتحويل اسرائيل الى دولة كل اليهود ، صار التخلي عن ذلك تخليا عن مبدأ وعقيدة وايديولوجية .

ان اسرائيل تحارب دفاعا عن « صحة » عقيدتها وهي أن التطبيق الصهيوني في المنطقة هو الحل الوحيد للمشكلة اليهودية . وتخشى من أنه اذا وقع شرخ في هذه العقيدة قد يتسع هذا الشرخ الى هوة تفقد معها اسرائيل مبرر وجودها ، اذ أن كونها قابلة للكسر والهزيمة — حتى لو كانت جزئية — يعني ان قانون قابلية الشعوب للهزيمة والنصر قانون يسري على الاسرائيليين أيضا . وهو ما تحرص اسرائيل على تلافيه .

واسرائيل لا تحارب دفاعا عن « دولة » عادية في المنطقة . انها تحارب دفاعا عن « دولة » خاصة مؤهلة للتسلط السياسي والاقتصادي ، لان كونها عادية قد يجعلها قابلة للذوبان فيما حولها من ناحية وقد يضعف من حرص الامبريالية العالمية على تغطيتها وتدليلها .

واسرائيل لا تحارب دفاعا عن « حق الاجداد » في فلسطين . ولكنها تحارب دفاعا عن « حق » الجسد الغريب في الحياة بقوة وعن قدرته على ذلك . انها تريد ان تثبت أن خطأ تجربة الصليبيين مثلا لم يكن كامنا في التجربة ذاتها ، ولكن كان بسبب ضعف في التطبيق. وتريد أن تبرهن على أنها قادرة على الافلات من مصير الاخطاء التاريخية التي قتلت سوابق مشابهة .

واسرائيل لا تحارب دفاعا عن فرصة مواتية أو عن بديل آخر قد يجعلها مقبولة في منطقة معادية . انها تدافع عن باب مسدود .

ان المناقشات التي كانت تدور في اسرائيل بين « الحمام » و « الصقور » تتلخص في خلاف بين اتجاهين : اتجاه يسعى لتأمين أحسن السبل لضمان مستقبل اسرائيل . وتنحصر هذه السبل في أن تكون اسرائيل دولة يهودية ذات تفرد يهودي مكتفية بعدوانها القديم على فلسطين دون مد يد العدوان الى المزيد من الارض العربية . اي انهم يرون ان تكون اسرائيل دولة عادية . أما الاتجاه الثاني فيرى ان تتحول اسرائيل الى دولة غير عادية ، قوية ، ذات جبروت وسطوة ، واسعة ، منتفخة ، وحليفة دائمة لاعداء شعوب المنطقة . وقد انتصر هذا الاتجاه . ومن هنا ، فان اسرائيل ، الى جانب دفاعها عن عدوانها القديم ، فانها تدافع عن حجم الاقوى ودور السيد في المنطقة . ومن هنا ، تركز